

مفهوم الاستقامة



«وهذا المعنى يتوضح من خلال المفاهيم الآتية:

"(ربُّنَا اِ) تحدّدُ لكَ الهدفَ، والطريقَ والجوَّ... فهي كلُّ حيا تَرَكَ".

مفهوم الاستقامة :

من المفاهيم التي أراد اِ أن يؤكدّها في وجدان النبيّ (ص) في خط الدعوة والحركة وفي وجدان كلّ المسلمين الذين اتبعوه، مفهوم الاستقامة، الذي أراد اِ وله ولكلمة التوحيد أن يلخصا كلّ الإسلام وكلّ الدعوة، بحيث تكون الدعوة منطلقة من قاعدة التوحيد ثمّ الامتداد في خط الاستقامة، قال تعالى: (إِنَّ السَّادِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) (فصلّت/ 30).

كيف نفهم المسألة؟

إنَّنا نفهم المسألة على أساس أن لكل عقيدة قاعدة تنطلق منها، ولا بدَّ لهذه القاعدة أن تنفذ إلى كل جزئية من جزئيات هذه العقيدة، إنَّ القاعدة هي الروح لكل عقيدة ولكل تيار ولكل مبدأ. وإسبحانه وتعالى جعل قاعدة الرسالات كلها (رَبَّنَا اللَّاهُ). فلقد جاء الأنبياء بهذه الكلمة وفرَّعوا عليها مما أراد إلههم أن يفرعوا، فإن تنطلق من أن إله ربك وحده لا بدَّ أن تعيش معنى الربوبية في ذاته، وحركتها في ذاتك، فالربوبية في ذات معناها أنَّهُ هو الذي أعطى كل شيء وجوده وحركته وكل عناصر الحيوية فيه وكل امتدادات الحياة له، وأنَّهُ أعطاه ذلك ورعاه وربَّاه وأراد له أن يعيش معه وأن يتحسَّس هذه المعيشة مع إلهه، أما في وعي العبد الربوبية إلهه، فإنَّ ذلك يتمثل في إحساس العبد العبودية إلهه، والعبودية هنا ليست خطأ قانونياً كما تعارف الناس أن يضيفوا عبداً إلى سيده، ولكنها عبودية تنطلق من معنى الخلق في العبد، فنحن عبيد إله لأنَّ ذاتنا هي ذات العبودية ولأنَّ إله هو الخالق فهو المالك، فملكية إله لنا هي سرُّ وجودنا، فنحن لا نملك الوجود المستقل بل نحن نملك الوجود الظل.

العبودية إلهه:

ومن هنا فإنَّ معنى أن يكون إله ربك أن تكون أنت عبده، وأن تكون أنت عبده أن تسير في الخط الذي يجسد هذه العبودية، أن لا تتحسَّس من عبوديتك أمام إلهه، أن لا يخطر في بالك أن تعطي فكرك الحرية التي ينفصل بها فكرك عن إلهه، وأن تعطي قلبك الحرية التي تباعد فيها عاطفتك عن إلهه، وأن تعطي حركتك الحرية التي تذهب بعيداً طاعة إلهه فيما أمر وفيما نهى.

أنت عبد في دائرة إلهه وعبوديتك هي سرُّ حريتك أمام الكون وأمام الناس، فأنت توحِّد إلهه لتوحيد عبوديتك له، ثمَّ لتنطلق في كلِّ الساحات لتشعر أنَّك حرٌّ في فكرك أمام فكر الآخرين. عندما تكون القضية خصوصية فكرك وأنت حرٌّ أمام الآخرين، بحيث تقول ربِّي إلهه، فلا معنى لأن تكون لك شريعة غير شريعته، وأن تقول ربِّي إلهه فلا معنى لأن يكون لك أولياء غير أوليائه، أو يكون لك أعداء غير أعدائه، لأنَّك لا تملك استقلالك في العاطفة أمام ما يريد إلهه لك في حركة العاطفة في وجدانك.

وهكذا فإنَّ تؤيد هنا أو ترفض شخصاً، خطأً، نهجاً، موقفاً هناك.. أن تَسْتَفْتِي رأيك قبل أن تعطي الموقف تأييداً، وأن يكون الذي تؤيده ممن يرضى إلهه عنه شخصاً، فكراً، نهجاً، موقفاً واقعاً وأن ترفض مثل ذلك إن كان ممن لا يرضى إلهه عنه.

اختبار الذات:

وإذا أردت أن تعرف نفسك فإنَّ أهل البيت يقولون فيما يُروى عنهم (عليهم السلام) "إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر قلبك كان قلبك يُوالي أولياء إلهه ويعادي أعداء إلهه ففبك خير وإلهه يحبُّك لأنَّك فتحت قلبك فجعلته بين يدي إلهه" وإن كان قلبك يُوالي أعداء إلهه ويعادي أوليائه فليس فبك خير وإلهه يبغضك، والمرء مع مَنْ أحب" فإذا أحببت إلهه أحببت مَنْ يُحِب، وإذا أحببت إلهه أبغضت مَنْ يُبغض.

تلك هي المعادلة العاطفية والحركية فيما هو الموقف والموقع. "ربَّنَا إلهه" ثمَّ انطلق أمامك، ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً "ربَّنَا إلهه" تحدد لك الطريق، و"ربَّنَا إلهه" تحدد لك الهدف، و"ربَّنَا إلهه" تصنع لك الجو، و"ربَّنَا إلهه" تحرك لك الأسلوب، و"ربَّنَا إلهه" هي كلُّ حياتك (ثُمَّ اسْتَقَامُوا). وإسبحانه وتعالى يقول: (وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (يس/ 61). هذا القرآن وهذا الإسلام هو الصراط المستقيم الذي تمتثلون فيه إلى إلهه قبل صلاتكم (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة/ 6). وإلهه يقول لكم: إنَّكم تطلبون هدايتي لكم إلى الصراط المستقيم (وَأَنَّهُ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ) (الأنعام/ 153). ولذلك قال إلهه لرسوله (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ) (الشورى/ 15). لدعوتك ولا يضلك الآخرون، لا يضغطوا عليك باغراءاتهم تارةً وبترهيباتهم أخرى، لا يندفعوا إلى نقاط ضعفك ليثيروها حتى يسقطوا موقفك (وَلَا يَن كَادُوا لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ وَإِنَّا لَنَدْعُكَ إِلَىٰ مَقَامٍ قَدِيمٍ) (الأنعام/ 73-74). وإلهه لا تَخْذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْ لَا أَن تَبْتَذُنَا كَ (الإسراء/ 73-74).

بالعصمة والنبوة والقوة الروحية التي تملؤها (لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) (الإسراء/ 74). وهذه هي طبيعة الضعف البشري عندما يندفع إليه الآخرون ليضعفوا عليه، ولكن الأنبياء كانوا يملكون قوة الروح وقوة الفكر وقوة الموقف (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ) (التوبة/ 40). فمهما يجادل الآخرون ومهما اقتربوا منك ليسقطوك ومهما ضغطوا عليك فلا تحزن لسننا وحدنا (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وهذه الـ"معنا" ليست للنبي وحده، بل هي لكل مَن يفتتح على الله ليشرق أن الله معه (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ دَارًا) (آل عمران/ 173). أنتم وحدكم وأنتم الضعفاء في الساحة... حاولوا أن تعطوا بأيديكم إعطاء الدليل وأن تقروا إقرار العبيد، ألغوا شخصياتكم، ألغوا مواقفكم، لأن الناس قد جمعوا لكم (فاخشوهم) فالفرد عندما يندفع المجتمع ضده فإنه يشعر بالإحباط وباليأس والاهتزاز والزلال والسقوط، لذلك فاحشوهم، ولكنهم لم يلتفتوا إلى الناس، كانوا يعيشون في عالم آخر، كان الناس يهددونهم بالناس وكان الإصرار ينفث بهم على الله ويمنحهم القوة ويجعلهم يخشون الله ولا يخشون الناس، فزادهم هذا الكلام وهذا التهديد، زادهم إيماناً، عرفوا أنهم في الموقف الصحيح، عرفوا أنهم استطاعوا أن ينزلوا بمجتمع الكفر ضعفاً أو يفتحوا فيه ثغرة ولذلك اجتمع عليهم... وكلاً ما اجتمع الناس عليك ووقفوا ضدك وسبكوك وشتموك فإن معنى ذلك أنك بدأت تترك تأثيرك في الواقع، أما عندما تنطلق ويمدحك الطالمون ويهلل لك المنحرفون ويصفق لك الضالون إعرف أنك لست في الطريق الصحيح. أفصح عن نفسك وفكرك وطريقك، لكن عندما تبدأ اللعنات والاتهامات، والشتائم والتحديات أعرف أنك بدأت تترك شيئاً في الأرض، وبدأت تدخل بعض القلوب وبعض العقول (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) (آل عمران/ 173). إن الله معنا، وإذا كان الله معنا فإن الكافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء وهو "نعم الوكيل" وكانت النتيجة (فَانْقَلَبُوا بِدَعْوَةِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلَ لِمَ يَمْسَسُهُمْ سُوءُ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ* إِنْ مَّا ذَلِكَ كُمُ الشَّيْطَانُ - بوساوسه ومخاوفه وتحركه على نقاط الضعف - يَخْوَفُ أَوْلِيَائِهِ) (آل عمران/ 174-175).

فلا تكونوا أولياءه لتكونوا المهزومين، ولا تكونوا أولياءه الضعفاء (فلا تخافوهم)، إنهم لا يملكون أن يضرؤكم أو ينفعؤكم إلا بأذن الله إذ ليست لهم القوة في ذلك. مَنْ هو صاحب القوة (أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة/ 165). (وإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (يونس/ 65). (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران/ 175). (فَلَيْذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) (الشورى/ 15). وهذا هو خط الاستقامة في الحكم.

خط الاستقامة في الحكم:

أعدل بينكم في الحكم وفي القانون وفي كل ذلك الواقع (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (الشورى/ 15). (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) (الشورى/ 15). وهو رب العالمين جميعاً وليس رب فئة دون فئة، إنا وربكم (لَنَا أَعْمَالُكُمْ) (الشورى/ 15) التي نتحمل مسؤوليتها، (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) (الشورى/ 15). (لا جُزْءَ بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ) (الشورى/ 15). تقطعت الحبال بعد أن رفضتم الحوار، (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى/ 15). هذا هو الخط، خط الاستقامة فيما يفتح به الإنسان على الحياة، وهكذا كانت النتيجة (إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي أُمَامَةٍ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ) (آل عمران/ 110). (فَصَلِّ لِرَبِّكِ وَتَكُنْ مِنَ الْخَائِفِينَ) (الشورى/ 30). ممّ تخافون وإنا قد أعطاكم الأمان (وَلَا تَحْزَنْ) (الشورى/ 30). لماذا تحزنون والفرجة الإلهية تتفجر في قلوبكم بالنعيم والرضوان، (وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت/ 30). ستجوزون ظلمة القبر ووحشته وأهوال القيامة ومشاكلها (وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)، فارقتم أولياءكم وتحسون بالوحشة الآن.. (نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (فصلت/ 31)، كنّا معكم من حيث لا تشعرون، كنّا معكم عندما كنتم تطيعون إنا وتجاهدون في سبيله ونحن أولياؤكم في الحياة الآخرة حيث يصور إنا المشهد في آية أخرى. (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ) (البقرة/ 25-26). (الرعد/ 23-24). كانت قصتكم قصة صبر، صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على بلاء إنا (فَنَدْعُهُمْ فِي الْقُبُورِ) (الرعد/ 24)، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) (فصلت/ 31-32). وتلك هي النهاية الحلوة، رضوان إنا وجنته، ولكن بشرط أن تكون مخلصاً وأن يكون إنا ربك وأن تستقيم في هذا الخط، أن يستقيم فكرك في خط التوحيد وأن يستقيم قلبك في خط التوحيد وأن تستقيم حركتك في خط التوحيد وإذا امنت في كل حياتك بإنا، فمن الطبيعي أن لا تنفصل عن إنا في الآخرة إذا لم تنفصل عنه في الدنيا. (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (النحل/ 128).

